هـ - نزار قباني

بلقيس

(١)

شكرا لكم ..

شكرا لكم ..

فحبيبتي قتلت .. وصار بوسعكم أن تشربوا كأسا على روح الشهيدة ..

وقصيدتي اغتيلت .

وهل من أمة في الأرض – إلا نحن – تغتال القصيدة ؟

(٢)

بلقيس .. كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل

بلقيس .. كانت أطول النخلات في أرض العراق

كانت إذا تمشي .. ترافقها طواويس ، وتتبعها أيائل

بلقيس .. ياوجعي ، وياوجع القصيدة حين تلمسها الأنامل

هل ياترى من بعد شعرك سوف ترتفع السنابل ! ؟

يانينوى الخضراء ..

ياغجريتي الشقراء ..

يا أمواج دجلة تلبس في الربيع بساقها أحلى الخلاخل .

(٣)

قتلوك يابلقيس ..

أية أمة عربية تلك التي تغتال أصوات البلابل ؟

أين السموأل . والمهلهل .. والغطارَيف الأوائل ؟ !
فقبائل أكلت قبائل
وثعالب قتلت ثعالب ..
وعناكب سحقت عناكب ..
قسما بعينيك اللتين إليهما تأوى ملايين الكواكب ..
سأقول ، ياقمرى ، عن العرب العجائب
فهل البطولة كذبة عربية
أم مثلنا التاريخ كاذب ؟؟

(٤)

بلقيس .. لا تتغيبى عنى ..
فان الشمس بعدك لا تضىء
على السواحل
سأقول فى التحقيق ، أن اللص
أصبح يرتدى ثوب المقاتل ..
وأقول فى التحقيق ، أن القائد
الموهوب أصبح كالمقاول .
وأقول أن حكاية الاشعاع أسخف
نكتة قيلت
فنحن قبيلة بين القبائل .
هذا هو التاريخ .. يابلقيس
كيف يفرق الانسان مابين
الحدائق .. والمزابل ؟

(٥)

بلقيس .. أيتها الشهيدة ،

والقصيدة ، والمطهرة النقية
سبأ تفتش عن مليكتها .. فردى
الجماهير التحية ..
ياأعظم الملكات .. يا امرأة
تجسد كل أمجاد العصور السومرية
بلقيس ياعصفورتى الأحلى ..
ويا ايقونتى الأغلى
ويا دمعا تناثر فوق خد المجدلية .
أترى ظلمتك اذ نقلتك ذات يوم
من ضفاف الأعظمية
بيروت تقتل كل يوم واحداً منا
بيروت تقتل كل يوم واحداً منا
.. وتبحث كل يوم عن ضحية
.. والموت فى فنجان قهوتنا
وفى مفتاح شقتنا ... وفى
أزهار شرفتنا .
وفى ورق الجرائد .. والحروف
الأبجدية
هانحن ، يابلقيس ، ندخل
مرة أخرى لعصر الجاهلية
هانحن ندخل في التوحش،
والتخلف ، والبشاعة، والوضاعة ..
ندخل مرة أخرى عصور البربرية
حيث الكتابة رحلة بين الشظية .. والشظية .
حيث اغتيال فراشة فى حلقها صار القضية ..

(٦)

هل تعرفون حبيبتى بلقيس ؟
فهى أهم ماكتبوه فى كتب الغرام
كانت مزيجا رائعا .. بين القطيفة والرخام
كان البنفسج بين عينيها ينام
.. ولا ينام
بلقيس .. ياعطرا بذاكرتى .
وياقبرا يسافر فى الغمام
قتلوك فى بيروت مثل أى غزالة.
من بعد ماقتلوا الكلام .
بلقيس .. ليست هذه مرثية
لكن .. على العرب السلام .

(٧)

بلقيس .. مشتاقون .. مشتاقون .. مشتاقون ..
والبيت الصغير يسائل عن
أميرته المعطرة الذيول
نصغى إلى الأخبار .. والأخبار
غامضة . ولا تروى فضول
بلقيس .. مذبوحون حتى العظم :
والأولاد لا يدرون مايجرى ولا
أدرى أنا ماذا أقول ؟؟
هل تقرعين الباب بعد دقائق
هل تخلعين المعطف الشتوى
هل تأتين باسمة . وناضرة

ومشرقة كأزهار الحقول ؟

(٨)

بلقيس ..

إن زروعك الخضراء مازالت على الحيطان باكية ..

ووجهك لم يزل متنقلا بين المرايا والستائر

حتى سيجارتك التى اشعلتها لم تنطفىء

ودخانها مازال يرفض أن يسافر

بلقيس .. مطعونون .. مطعونون فى الأعماق

والأحداق يسكنها الذهول

بلقيس .. كيف أخذت أيامى ، وأحلامى ، وألغيت الحدائق والفصول ؟

يازوجتى .. وحبيبتى . وقصيدتى .. وضياء عينى

قد كنت عصفورى الجميل .. فكيف هربت يابلقيس منى ؟

(٩)

بلقيس ..

هذا موعد الشاى العراقى المعطر .. والمعتق كالسلافة

فمن الذى سيوزع الأقداح .. أيتها الزرافة

ومن الذى سيقبل الأولاد عند رجوعهم

ومن الذى نقل الفرات لبيتنا

وورود دجلة والرصافة ..

بلقيس .. إن الحزن يثقبنى ..

وبيروت التى قتلتك .. لا تدرى جريمتها

وبيروت التى عشقتك تجهل أنها قتلت عشقيتها ..

وأطفأت القمر ..

(١٠)

بلقيس .. بلقيس ..يا بلقيس

كل غمامة تبكى عليك .. فمن ترى يبكى عليا ؟

بلقيس .. كيف رحلت صامتة ، ولم تضعى يديك على يديا ؟؟

بلقيس .. كيف تركتنا فى الريح ، نرجف مثل أوراق الشجر

وتركتنا – نحن الثلاثة – ضائعين كريشة تحت المطر

أتراك مافكرت بى ؟

وأنا الذى يحتاج حبك .. مثل " زينب " أو " عمر "

(١١)

بلقيس .. ياكنزا خرافيا .. ويارمحاً عراقيا . وغابة خيرزان

يامن تحديت الغيوم ترفعا ..

من أين جئت بكل هذا العنفوان ؟

بلقيس .. أيتها الصديقة ، والرفيقة ، والرقيقة مثل زهرة

أقحوان

ضاقت بنا بيروت ..

ضاق البحر ..

ضاق بنا المكان

بلقيس : مأأنت التى تتكررين

فما لبلقيس اثنتان ..

(١٢)

بلقيس

تذبحنى التفاصيل الصغيرة فى علاقتنا ، وتجلدنى الدقائق والثوانى ..

فلكل دبوس صغير .. قصة

ولكل عقد من عقودك قصتان ..
حتى ملاقط شعرك الذهبى ، تغمرنى كعادتها بأمطار الحنان
ويعرش الصوت العراقى الجميل ، على الستائر ، والمقاعد والأوانى ..
ومن المرايا تطلعين ..
من الخواتم تطلعين
من القصيدة تطلعين ..
من الشموع ، من الكؤوس ، من النبيذ الأرجوانى .
بلقيس .. يابلقيس .. لو تدرين ماوجع المكان ..
فى كل ركن أنت حائمة كعصفور .. وعابقة كغابة بيلسان
فهناك كنت تدخنين ..
فهناك كنت تطالعين ..
هناك كنت كنخلة تتمشطين ..
وتدخلين على الضيوف ، كأنك السيف اليمانى .
بلقيس أين زجاجة " الفيرلان " والولاعة الزرقاء ..
أين سيجارة ال" كنت" التى مافارقت شفتيك ..
أين " الهاشمى " مغنياً فوق القوام المهرجان ..
تتذكر الأمشاط ماضيها ، فيكرج دمعها
هل ياترى الأمشاط من أشواقها أيضا تعانى .. ؟
بلقيس . . صعب أن أهاجر من دمي . .
وأنا المحاصر بين ألسنة اللهيب . وبين ألسنة الدخان ..

(١٣)

بلقيس .... أيتها الأميرة
هاأنت تحترقين فى حرب العشيرة .. والعشيرة
ماذا سأكتب عن رحيل مليكتى ؟
إن الكلام فضيحتى ..

هانحن نبحث بين أكوام الضحايا
عن نجمة سقطت .. وعن جسد تناثر كالمرايا ..
هانحن نسأل ياحبيبة
إن كان هذا القبر قبرك أنت ..
أم قبر العروبة ؟؟

(١٤)

بلقيس :
ياصفصافة أرخت ضفائرها على .. ويازرافة كبرياء
بلقيس :
إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عرب ..
ويأكل لحمنا عرب ..
ويبقر بطننا عرب ..
ويفتح قبرنا عرب ..
فكيف نفر من هذا القضاء ؟
فالخنجر العربي ليس يقيم فرقا ..
بين أعناق الرجال .. وبين أعناق النساء
بلقيس : إن هم فجروك .. فعندنا
كل الجنائز تبتدى في كربلاء
وتنتهى في كربلاء ..

(١٥)

لن أقرأ التاريخ بعد اليوم ..
إن أصابعي اشتعلت .. وأثوابي تغطيها الدماء ..
هانحن ندخل عصرنا الحجري ..
نرجع كل يوم ، ألف عام للوراء ..

(١٦)

البحر فى بيروت .. بعد رحيل عينيك استقال
والشعر يسأل عن قصيدته التى لم تكتمل كلماتها ..
ولا أحد يجيب على السؤال ..
الحزن يابلقيس ، يعصر مهجتى كالبرتقالة
الآن أعرف مأزق الكلمات ..
أعرف ورطة اللغة المحالة ..
وأنا الذى اخترع الرسائل ..
لست أدرى كيف ابتدىء الرسالة

(١٧)

السيف يدخل لحم خاصرتى .. وخاصرة العبارة
كل الحضارة أنت يابلقيس ، والأنثى حضارة
بلقيس : أنت بشارتى الكبرى ، فمن سرق البشارة ؟
أنت الكتابة قبلما كانت كتابة
أنت الجزيرة والمنارة ..

(١٨)

بلقيس : ياقمرى الذى طمروه مابين الحجارة ..
الآن ترتفع الستارة ..
الآن ترتفع الستارة ..
سأقول فى التحقيق ، إنى أعرف الأسماء .. والأشياء ..
والسجناء .. والشهداء .. والفقراء .. والمستضعفين
وأقول : إنى أعرف السياف قاتل زوجتى ..
ووجوه كل المخبرين ..

وأقول : إن عفافنا عهر .. وتقوانا قذارة ..
وأقول أن نضالنا كذب ..
وأن لا فرق مابين السياسة والدعارة ..
وسأقول فى التحقيق أنى قد عرفت القاتلين
وأقول إن زماننا العربى مختص بذبح الياسمين
ويقتل كل الأنبياء .. ويقتل كل المرسلين ..

(١٩)

حتى العيون الخضر .. يأكلها العرب ..
حتى الضفائر .. والخواتم .. والأساور .. والمرايا .. واللعب
حتى النجوم تخاف من وطنى .. ولا أدرى السبب
حتى الطيور تفر من وطنى .. ولا أدرى السبب
حتى الكواكب .. والمراكب .. والسحب .
حتى الدفاتر .. والكتب ..
وجميع أشياء الجمال .. جميعها عند العرب ..

(٢٠)

لما تناثر جسمك الضوئى ، يابلقيس ، لؤلؤة كريمة
فكرت : هل قتل النساء هواية عربية
أم أننا فى الأصل محترفو جريمة ؟

(٢١)

بلقيس : يافرسى الجميلة .. إننى
من كل تاريخى خجول
هذى بلاد يقتلون بها الخيول ..
هذى بلاد يقتلون بها الخيول ..

(٢٢)

من يوم أن نحروك ، يابلقيس ، يا أحلى وطن .
لا يعرف الأنسان كيف يعيش فى هذا الوطن ..
لا يعرف الأنسان كيف يموت فى هذا الوطن ..

(٢٣)

مازلت أدفع من دمى أعلى جزاء
كى أسعد الدنيا .. ولكن السماء
شاءت بأن أبقى وحيدا مثل أوراق الشتاء
هل يولد الشعراء من رحم الشقاء
وهل القصيدة طعنة فى القلب .. ليس لها شفاء
أم أننى وحدى الذى عيناه تختصران تاريخ البكاء ؟

(٢٤)

سأقول فى التحقيق
كيف غزالتى ماتت بسيف أبى لهب
كل اللصوص من الخليج إلى المحيط ...
يدمرون .. ويحرقون .. وينهبون .. ويرتشون ..
ويعتدون على النساء كما يريد أبو لهب .
كل الكلاب موظفون .. ويأكلون . ويسكرون .
على حساب أبى لهب ..

(٢٥)

لا قمحة فى الأرض تنبت دون رأى أبي لهب
لا طفل يولد عندنا ..

إلا وزارت أمه يوما فراش أبى لهب
لا سجن يفتح دون رأى أبى لهب
لا رأس يقطع دون أمر أبى لهب

(٢٦)

سأقول فى التحقيق ، كيف أميرتى اغتصبت
وكيف تقاسموا فيروز عينيها .. وخاتم عرسها
وأقول كيف تخاطفوا الشعر الذى يجرى كأنهار الذهب
سأقول فى التحقيق كيف سطوا على آيات مصحفها الشريف
وأضرموا فيه اللهب ..
سأقول كيف استنزفوا دمها ..
وكيف استملكوا فمها ..
فما تركوا به وردا .. ولا تركوا عنب ..
هل موت بلقيس هو النصر الوحيد بكل تاريخ العرب ..

(٢٧)

بلقيس يامعشوقتى حتى الثمالة ..
الأنبياء الكاذبون .. يقرفصون ، ويركبون على الشعوب
ولا رسالة
لو أنهم حملوا إلينا من فلسطين الحزينة ، نجمة .. أو برتقالة
أو أنهم حملوا إلينا من شواطىء غزة
حجراً صغيرا .. أو محارة
لو أنهم من ربع قرن حرروا زيتونة ..
أو أرجعوا ليمونة ..
ومحوا عن التاريخ عاره ..
لشكرت من قتلوك ، يابلقيس

يامعبودتى حتى الثمالة ..
لكنهم تركوا فلسطينا .. ليغتالوا غزالة ..

(٢٨)

ماذا يقول الشعر ، يابلقيس ، فى هذا الزمان ؟
ماذا يقول الشعر فى العصر الشعوبى ، المجوسى ، الجبان ؟
والعالم العربى .. مسحوق .. ومقموع .. ومقطوع اللسان ..
نحن الجريمة فى تفوقها .. فما " العقد الفريد " .. وما
" الأغانى " ؟
أخنوك أيتها الحبيبة من يدى ..
أخنوا القصيدة من فمى ..
أخنوا الكتابة .. والقراءة .. والطفولة ، والأمانى ..
بلقيس .. يابلقيس ..
يادمعا ينقط فوق أهداف الكمان ..
علمت من قتلوك أسرار الهوى ..
لكنهم .. قبل انتهاء الشوط .. قد قتلوا حصانى ..

(٢٩)

بلقيس ..
أسألك السماح ، فربما
كانت حياتك فدية لحياتى
إنى لأعرف جيداً
أن الذين تورطوا فى القتل ، كان مرادهم
أن يقتلوا كلماتى !!!

(٣٠)

نامي بحفظ الله ، أيتها الجميلة ..
فالشعر بعدك مستحيل .. والأنوثة مستحيلة
ستظل أجيال من الأطفال تسأل عن ضفائرك الطويلة
وتظل أجيال من العشاق تقرأ عنك .. أيتها المعلمة الأصيلة
وسيعرف الأعراب يوما ..
أنهم قتلوا الرسولة ..

لنزار قباني عدد من دواوين الشعر الحديث منذ أوائل الخمسينات ، جمعت في ثلاث مجلدات صدرت عن منشورات نزار قباني منذ عامين ومن أشهر أعماله : سامبا ، طفولة نهد ، قالت لي السمراء ، هوامش على دفتر النكسة ، الخ . . . وقد كتب هذه القصيدة في رثاء زوجته بلقيس التي لقيت حتفها في حادث نسف السفارة العراقية في بيروت وذلك عام ١٩٨٢ . وقد نشرت القصيدة في مصر بجريدة الجمهورية القاهرية في ١١ من فبراير ١٩٨٢ .

تجربة نقدية ٥ :

"نزار قبانى " إسم كبير فى عالم الشعر الحديث . يتربع على القمة منذ مايقرب من نصف قرن . كان صوتاً مرموقاً فى الستينات الأولى ومنذ أواخر الأربعينات .. شهر بالأداء التعبيرى المازج بين السياسة والجنس .. ملحاً على تعرية كل الحقائق المتصلة بالمحورين . وهو خارج دائرة المنافسة ولهذا لم يحصل على جائزة من أى نوع ومن أى مكان . وهو جدير بكثير من احتفاليات التكريم على كافة الأصعدة . فهو شاعر يقطر فنا . وهو شاعر يتعامل مع أوراقه تعامل مقتدر عالم بأسرار "الحرفة" حتى أضحى "شاعراً محترفا" . والاحتراف مشفوع بالقدرة والتمكن والموهبة والإمكانية ، والأستاذية .

أهم مزية فى شعر نزار القدرة على التعامل مع المفرد العادى وتحويله إلى "صيغة شاعرة" رغم "عاديته" وربما "تقريريته " نلحظ ذلك فى مفردات دواوينه سامبا . طفولة نهد" . قالت لى السمراء . هوامش على دفتر النكسة . وغيرها التى جمعها فى ثلاث مجلدات تحمل عنوان "ديوان نزار قبانى" صدر عن دار نشر نزار قبانى "أيضاً . هذا بالإضافة إلى كتابته النثرية فى "الشعر قنديل أخضر" . حتى آخر دواوينه المعلن عنها اليوم (١٩٩١/١٢/١) والذى حمل عنوان "هل تسمعين صهيل أحزانى" . هذا فضلاً عما أعاد نشره باسم "قصيدة مايا" . ووصفها بأنها "صيغة تشكيلية راقية حولنا فيها الحروف الأبجدية إلى علبة ألوان" :

الركبة الملساء .. والشفة الغليظة / والسراويل الطويلة والقصيرة .. / إنى تعبت من التفاصيل الصغيرة ../ ومن الخطوط المستقيمة .. والخطوط المستديرة .. / وتعبت من هذا النفير العسكرى . / إلى مطارحة الغرام .

و"بلقيس" فى تصورى هى أروع ماتلقينا من قريحة الشعر العربى المعاصر (نشرت فبراير ١٩٨٢) وهى من نماذج شعر رثاء الزوجة ولنا فيه تجارب فى شعر جرير مثلاً من القدماء . وعبد الرحمن صدقى وعزيز أباظة من المحدثين .

وهى منقسمة كما أراد الشاعر إلى ثلاثين مقطوعة .. تتراوح أبيات كل منها وفقا لمقاطع الشعر الجديد المستخدم للتفعيلة الواحدة . إلى مابين ثلاثة أبيات وستة وعشرين بيتاً على هذا النحو :

المحور	الأبيات	المحتوى	بلقيس (عدد تردد الاسم في المقطع)
المقطع الأول	خمسة أبيات	تلخيص الحدث	١
،، الثانى	ثمانية أبيات	من هى	٣
،، الثالث	عشرة أبيات	القاتل	١
،، الرابع	ثلاثةعشر بيتاً	مناجاة الزوج المفجوع	٢
،، الخامس	ستة وعشرون بيتاً	تكملة لابد منها	٣
،، السادس	أحد عشر بيتاً	خطاب . مناجاة	٣
،، السابع	اثنا عشر بيتاً	البيتوالأولاد	٢
،، الثامن	عشرة أبيات	بقاياها الصغيرة	٤
،، التاسع	عشرة أبيات	ذكرى	٢
،، العاشر	سبعةأبيات	أسرة تفتقدها	٥
،، الحادى عشر	عشرة أبيات	صفاتها	٤
،، الثانى عشر	ثلاثة وعشرون بيتاً	التفاصيل الصغيرة فى العلاقة	٥
،، الثالث عشر	تسعة أبيات	بلقيس/العروبة	١
،، الرابع عشر	ثلاثة عشر بيتاً	العرب/كربلاء	٣
،، الخامس عشر	أربعة أبيات	العصر الحجرى	–
،، السادس عشر	ثمانية أبيات	العجز عن التعبير	١
،، السابع عشر	خمسة أبيات	تكملة	١
،، الثامن عشر	ثلاثة عشر بيتاً	القاتل/ الضحية	١
،، التاسع عشر	سبعة أبيات	القاتل / الفعل	–
،،العشرون	ثلاثة أبيات	القاتل / الاحتراف	١

المحور	الأبيات	المحتوى	بلقيس (عدد تردد الاسم في المقطع)
المقطع الحادى والعشرون	أربعة أبيات	الضحية/التاريخ	١
،، الثانى والعشرون	ثلاثة أبيات	الوطن/الضحية	١
،، الثالث والعشرون	ستة أبيات	الضحية/الفداء	–
،، الرابع والعشرون	سبعة أبيات	القاتل/ الدلالة	–
،، الخامس والعشرون	خمسة أبيات	القاتل	–
،، السادس والعشرون	تسعة أبيات	القاتل/ الحدث	١
،، السابع والعشرون	اثنا عشر بيتاً	القيمة/الحدث	٢
،، الثامن والعشرون	اثنا عشر بيتاً	الرفض / الهزيمة	٣
،، التاسع والعشرون	ستة أبيات	مناجاة	١
،، الثلاثون	ستة أبيات	رسالة/ختام	–

وقد تكشف المحاولة السابقة نوعاً من التوافق بين الشكل والمضمون عندما نقارن بين حجم المقطع وفكرته الرئيسية . ثم التوافق بين عناصر المضمون المختلفة . فى : هى ـ الضحية ـ القاتل ـ التاريخ ـ ومنها تنبثق عدة وحدات : شخصية . عامة .

الشخصية : مناجاة ـ البيت الأبناء ـ التفاصيل الصغيرة ـ الضحية

العامة : العروبة ـ القاتل ـ الاحتراف ـ التاريخ ـ الرفض ـ الهزيمة .

وعندما تمتزج "الشخصية" "بالعامة" تحاول العناصر المكونة أن تتوافق رأسياً وأفقياً فى محاور عدة تكشف عنها بنيات النص رغم إلحاحية "الوحدة المحور" "بلقيس" فى أسلوب النداء .

وبلقيس : كانت أجمل الملكات فى تاريخ بابل .

كانت أطول النخلات فى أرض العراق .

شقراء .

تلبس في الربيع بساقها أحلى الخلاخل
لها صوت البلابل ـ كانت مزيجاً رائعاً .. بين القطيفة والرخام " .

ولهذا فقد تردد إسم "بلقيس" نيف وخمسين مرة فى القصيدة من عنوانها حتى النهاية .. فضلاً عن العنوان . ومن الواضح أن القصيدة قد اشتملت على تفاصيل "الشخصية " من الداخل الأنوثة والدفء وحركة الزوجة والأم داخل البيت .

ومن الغريب أن يمزج "نزار" بين الأسى الغامر المسيطر على النص وبين مشاعر الأنوثة فى بلقيس وصفاتها الجذابة . فنحن نجد مفردات : الساق . والخلاخل . العينين . قمرى . يا امرأة . كانت مزيجاً بين القطيفة والرخام . كانت عطراً . معطرة الذيول . كنز خرافى رمح عراقى . الشعر الذهبى . عابقة . تتمشطين . الضفائر . لحمنا . بطننا . الأنثى . عفافنا عهر . العيون الخضر . فيروز عينيها . غزالة .

وهى مفردات صاغت من بلقيس أنثى محددة الملامح واضحة التكوين : الطول الفارع بدون امتلاء فهى غزالة أو زرافة أو نخلة أو هى سيف يماني ممشوقة شقراء خضراء العينين ناعمة ملمس جلدها بين القطيفة والرخام . تضع خلاخل فى ساقيها وعقوداً وأقراطاً ودبابيس شعر تدخن وتوزع الشاى على الأفراد .. أفراد الأسرة . ذات عنفوان وحيوية قوية ذات صوت عراقى منعمة مرفهة تدخن سجائر الكنت وتستخدم "الفرلان" من عطور الزينة . وهى عجرية شقراء .

هذا بالإضافة إلى صورتها التشبيهية وحركاتها وماقدمه من صور كثيرة تجعل قتلها جريمة انسانية بشعة . ومع هذه المفردات الأنثوية نفاجأ بمعجم لغوى آخر :

قتلت . اغتيلت . وجعى . ثعالب . عناكب . كاذب . اللص . المزابل . الموت . التوحش . التخلف . البشاعة . الوضاعة . البربرية . ضاق . تذبحنى . تجلدنى .

اللهيب . الدخان . الضحايا . جسد تناثر . الجنائز . الدماء . السجناء . الشهداء . الفقراء . المستضعفين . السياف . عهد . قذارة . دعارة . جريمة . نحروك . الشقاء . يدمرون . يحرقون . ينهبون . يرتشون . الكلاب . سجن . اغتصبت . أضرموا . اللهب . استنزفوا دمها . الجبان . مسحوق . مقموع . مقطوع اللسان . القتل .

هل يمكن أن يلتقى المحوران فى الدائرتين اللغويتين السابقتين .. هناك عدة محاور يمكن أن تكتشف والدليل على صحة هذا أن القصيدة رغم تناثرية أفكارها ، وتكرارية معانيها أحياناً . تمثل وحدة شعورية بنائية واحدة . مرتبطة بفعل فى الزمان وفعل فى المكان وأشخاص بينهم علاقات على خطين متوازيين . أحدهما مرتبط بالدائرة اللغوية الأولى بلقيس / الأب والأولاد وزينب وعمر . والثانى مرتبط بالدائرة اللغوية الثانية بلقيس/القتلة .

ولقد حاولت ابحث وراء المعانى التحتية غير الظاهرة فلم أوفق فى الكشف عنها ربما لأنها غير موجودة .. ذلك أن الشاعر لم يجد ضرورة للترميز . وأعطته الفجيعة فى زوجه القوة والمبرر لكى يقول مايجد ألا مبرر لأخفائه عمداً أو قسراً . ومن هنا جاءت كافة المعانى مباشرة ومفجئة .. فضلاً عن تراكيبها الأسلوبية المتفوقة فى الأداء مستخدماً عدداً من الأساليب .

هذا يسوق إلى محاور الشكل البنائى : ففضلاً عن محور اللغة المستخدمة وهى لغة أكثر عصرية وحداثة مما ينبغى اعتمد على صيغ عدة وأساليب متباينة .. أظهرها أسلوب الاستفهام الاستنكارى يبدأ فى الفقرة الأولى : "وهل من أمة فى الأرض ـ إلا نحن ـ تغتال القصيدة ؟" .

وهو تساؤل تكرر حوالى عشرين مرة فى المقاطع الثلاثين . فلم يكد يخلو مقطع من أسلوب استفهامى استنكارى أو نحوه .

ولقد تردد أسلوب النداء كثيراً . يانينوى . ياغجريتى . ياأمواج . أيتها الشهيدة . ياأعظم الملكات . ياامرأة . ياعصفورتى . ياأيقونتى . يادمعاً . ياعطراً . ياقبراً . يازوجتى . ياكنزا . يارمحاً . أيتها الصديقة . يابلقيس . ياصفصافة . يازرافة . ياقمرى . يافرسى .

كما تردد أسلوب التقرير من مثل : "فحبيبتى قتلت .. وصار بوسعكم أن تشربوا كأساً على روح الشهيدة .. "

"فقبائل أكلت قبائل . وثعالب قتلت ثعالب . وعناكب سحقت عناكب" .

"سأقول فى التحقيق ، أن اللص أصبح يرتدى ثوب المقاتل .. "

وهذا أسلوب يتكرر كثيراً وخاصة بعد أسلوب الاستفهام الاستنكارى . وهى كمايبدو محاولة للإجابة بصور تراكيبية لاتشمل الواقع بقدر ماتصوره . ولاتحاكيه بقدر ماتعلق على سلوكه وحركة حياته المرة .

"والرؤية " كما يتبين "رؤية مركبة" مزيج من تجربة ذاتية مرة . وتجربة جماعية أكثر مرارة . مزيج من التركيب الأنوى الحاد ، والأخروى الجامح . وهذا كله متفجر من اللحظة الفاجعة . وهى سقوط "بلقيس" زوجته أثناء تواجدها بمبنى السفارة العراقية ببيروت أثناء عمل من أعمال الإرهاب الذى تعرضت له لبنان العربية .

و"التركيب الرؤيوى" يلتحم فى كثير من الشعر الحديث "بالتركيب البنائى" . بمعنى أن الشكل أصبح فى كثير من الأعمال الإبداعية ضرورة مضمونية . على أساس أن هذا "التركيب الرؤيوى" هو الذى فرض خاصية الإبداع فى القصيدة وتناويع أساليبها . ولايمكن أن تكون لدى الشاعر قدرة على تحويل هذا التركيب إلى بناء روائى أو قصصى . إذ أن المناسبة له تماما والمتكاتف معه هو التركيب الشكلى البنائى الذى اختاره له فلا يصلح تركيب آخر من نوع أدبى آخر . رواية / مسرح /

قصة قصيرة / مقال كى يؤدى الوظيفة التى أداها الشكل الشعرى البنائى فى توافقه والتحامه بالشكل البنائى الرؤيوى .

والمقطع شكلاً يتبع أحياناً نظام الشعر العمودى ولكن موزعاً . فى المقطع الأول :

شكراً لكم ..
فحبيبتى قتلت .. وصار بوسعكم أن تشربوا كأساً على روح الشهيدة ..
وقصيدتى اغتيلت .. وهل من أمة فى الأرض إلا نحن تغتال القصيدة ؟

فمنذ الوهلة الأولى نحن أمام بيتى شعر مكتملى التقسيم الأدائى التفعيلى .. ونحن نستطيع اكتشاف هذا فى كثير من شعر نزار . ذلك أنه يخدع القارىء بهذه التقسمة الحديثة ولكنها فى الواقع قصيدة تقليدية .. من حيث عدد التفعيلات فى البيت الواحد .

ومع أنه يخرج أحياناً منساقاً وراء التشكيل الحداثى فى الشعر . ومن حيث توزع القافية على غير نظام تفعيلى إلا أنه يعود أحياناً كثيرة ليرتد إلى التقسمة التقليدية فى تردد القافية برتابة عددية لاتتغير . إلا أنه يحرص على توافقات العدد المتردد بين كل قافية أخرى . كما أنه يحرص على ألا تتباعد القوافى كثيراً فى الشعر الحداثى المعتمد على وحدة التفعيلة المتكررة بغير نظام . ولأنه يفعل ذلك فإن "التدوير" لايبدو شاذاً فى شعره على عكس مانراه موظفاً فى بعض مايسمى بالشعر المعاصر .

* * *